مؤسسة الفنادق في الغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط
– قراءة في الدور والفاعلية على ضوء معطيات مصدرية–

دة./ معروف حفصة
أستاذة محاضرة– أ/ جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف
hafsahasina@yahoo.fr

الملخص:

تعد الفنادق أهم المؤسسات الفاعلة في العلاقات الخارجية للغرب الاسلامي ووجهة تجارية هامة إلى جانب الأسواق، يقصدها التجار خاصة "النصارى" ، فهي محل نزول أو إقامة المسافرين و التجار ودوابهم وسلعهم.

والفندق عبارة عن مبنى كبير به مجموعة من الحجرات تعرف بالبيوت، وهو مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدّة منشآت لا تقتصر على سكن التجار فقط ، بل كذلك مخازن السلع، ومكاتب تنظيم الفندق وتسيير الشؤون العامة للجالية.

شهدت هذه المؤسسة تطورا كبيرا على امتداد العصر الوسيط ، فمن مدلوله البسيط خلال الفترة الإسلامية الأولى إلى شكل من أشكال المدينة التي تضم مقرا للقنصلية و كنيسة ومدافن للموتى نهاية العصر الوسيط.

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على الدور الذي أدته الفنادق في ربط العلاقات خاصة التجارية منها وتأثيرها على فاعلية هذه العلاقات ومدى استمراريتها.

الكلمات المفتاحية: الفنادق؛ المؤسسة؛ الغرب الإسلامي؛ المصادر؛ العصر الوسيط.

ABSTRACT:

Fandouks are the most important institutions active in the foreign relations of the Islamic occident and a significant commercial destination beside markets, frequented by traders especially “Christians” . It’s a place of descent or residence of many travelers and traders with their livestocks and goods.

The Fandouk is a large building with a set of rooms known as houses, it’s a multi powers institution , containing many facilities, not limited to the traders’ accommodation only, but also good stores, The Fandouk organizing offices, and managing community public affairs.

This institution witnessed a great evolution throughout the Middle Age, from its simple connotation during the first Islamic period to a form of a city that includes a consulate, a church and burials for the dead at the end of the Middle Age.

This research paper tries to shed light on the role played by The Fandouks in creating relationships notably the commercial ones and the impact on the effectiveness of these relationships and their continuity.

تمهيد:

شكّلت الفنادق إحدى المؤسسات المعمارية لنسيج المدينة بالفضاء المغاربي خلال العصر الوسيط، حيث ارتبطت بالنشاط التجاري لكثير من المدن خاصة الساحلية منها، فكانت بندا حاضرا ومهما ضمن المعاهدات التجارية المبرمة بين تجار الأوروبيون و المدن المغاربية. ونظرا لحيوية دورها الذي تجاوز البعد الوظيفي، فقد أخذت موقعا متميزا ضمن الفضاء المعماري للمدينة كمؤسسة تجارية معقدة التنظيم يسيرها المسؤول الرسمي، ويأوي إليها ابن السبيل، والمتصوف العابد، ويقيم بها التاجر، كما أصبحت هذه المؤسسة موضوع تشريع، وتنظيم، ومراقبة من الحكومات، وعاش بها القناصل والمشرفون على الجاليات الاوروبية، واستقر بها أهل اللهو والمجون والبغاء، وسجن بها من كان خارجا عن الطاعة في بعض الأحيان.

فكيف ساهمت الفنادق في تحقيق التبادل الحضاري بين الجاليات الاوروبية الوافدة، وبين المجالات الحضرية المغاربية؟

نحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على موضوع الفنادق من الناحية الوظيفية بناء على معطيات مصدرية والوقوف على جوانب أخرى للأدوار التي أدتها كمؤسسة متكاملة تضم الكثير من الهياكل الخدماتية المتنوعة.

1. تعريف الفندق:

تشير النصوص في العصر الوسيط إلى تعدد التسميات التي تطلق على المنشآت المعدة لاستقبال المسافرين في البلاد الاسلامية، وتعد تسمية **(بَنْدوكيون)** اليونانية والتي تعني "**قبول كل الوافدين**" أقدم التسميات التي تشير إلى مؤسسة عابرة للثقافات في العصر القديم المتأخر[1]، والتي كانت منتشرة على طول الطرقات الرئيسية والفرعية، وحسب المصادر القديمة يبدو أن الكلمة قد انبثّت في العديد من اللغات الاخرى خلال القرن 1م[2] مع تعرضها لبعض التغييرات اللغوية[3].

برز الفندق في البلاد الاسلامية مبكرا منذ القرنين 2-3هـ/8-9م، وانتشر بسرعة في أقاليمها المطلة على البحر المتوسط، ورغم حفاظه على كثير من خصائصه القديمة، فقد وجد في الإطار الاسلامي مكانه اللائق في شبكة مؤسّسية متطورة من الأنزال (جمع نُزُل) والمستشفيات والمراكز الإدارية والفضاءات التجارية؛ ويعرف ابن منظور الفندق قائلا: "**والفندق بلغة الشام خان من هذه**

---

(1)- لهذه الكلمة جذور قديمة تصل إلى القرن 5 ق. م في منطقة أتيكا Attica واستعملها الكتاب اليونانيون المتأخرون للتعبير عن الفنادق في اليونان وإيطاليا وفي جهات أخرى. كونستابل أوليفيا ريمي: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، تعريب وتقديم، محمد الطاهر المنصوري، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2013، ص. 41.

(2) – كونستابل: إسكان الغريب,, ، ص.41

(3) – من هذه التسميات: البوتقا السرياني، البُنداق العبري، الفُنداقس اليوناني، الفُنديكوم اللاتيني والفُنداكو باللغة الرومانية الوسيطية. كونستابل: المرجع السابق، ص.80.

الخانات التي ينزلها الناس ممّا يكون في الطرق والمدائن..."[1] والخان أصلها فارسي تعني المبنى المقام على الطريق لإيواء القوافل والتجار. كما عرفت المؤسسة تسميات أخرى في مناطق مختلفة من البلاد الاسلامية مثل الوكالة، القياسرية، "كارافان سراي" في مصر إضافة إلى سمسرة في اليمن وكلمة فندق في المغرب والأندلس والمشتقة غالبا Pandakia أو Pandokein اليونانية والتي استعملها الإيطاليون كذلك في لغتهم بلفظ Fandoco [2].

أما من الناحية الاصطلاحية فالفندق يمثل المكان المخصص لإقامة المسافرين خاصة التجار منهم، إضافة إلى دوابهم وسلعهم. وهو عبارة عن مبنى كبير به مجموعة من الحجرات تعرف بالبيوت، جميعها تحيط وتشرف على فناء رئيسي يتوسط المبنى، وتتكون معظم الفنادق من دورين، ولها مدخل واحد بوابته ضخمة يسمح بدخول الدواب التي يتم بواسطتها نقل السلع من وإلى الفندق[3].

2. تطور الفنادق في الغرب الاسلامي:

ظهرت مؤسسة الفندق كهيكل تجاري خاص بالأجانب بشكل واضح وجلي منذ الفترة الاسلامية الأولى لاسيما في المناطق التي تواجد فيها التجار، فوجدت مبان ذات أفنية صغيرة، وتحتوي على مخازن ودكاكين وغرف لمبيت التجار وأخرى للاستحمام، دون أن تكون هناك أماكن للحيوانات المخصصة للركوب [4] ، وزاد الاهتمام بها بشكل كبير فيما بعد، حيث أصبحت عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدّة منشآت منها سكنية لإقامة التجار، وأخرى لتخزين السلع، ومكاتب لتنظيم الفندق وتسيير الشؤون العامة للجالية[5]. ويذكر **دي ماس لاتري** De Mas Latrie أن

---

(1) – ابن منظور عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري: **لسان العرب**، تح عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت ، ، مج5، ج23، ص.3473 (مادة فندق)

(2) – للمزيد ينظر:

Cahen Claude : "Douanes Et Commerce Dans Les Ports Méditerranéens De l'Égypte Médiévale D'après Le Minhãdj d'Al-Makhzùmi", dans Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. VII, Part. III, (Makhzùmiyyãt, Etudes Sur l'Histoire Economique Et Financière De L'Égypt Médiévale), E.J , Brill, Leiden, 1964, p. 238

(3)– نعيمة عميروش: "الفنادق ودورها التجاري في المغرب الأوسط"، ضمن الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، أعمال الملتقى الدولي المنعقد يومي 7–8 ديسمبر 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر، د . ت، ص.474.

(4) – مريم محمد عبد الله جبوده: التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العصرين الموحدي والحفصي (555–915هـ/1160–1510م)، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013، ص. 270

(5) – عبد الناصر جبار: بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، (14–15 م)، رسالة ماجستير إشراف الأستاذ الدكتور حامد زيان غانم، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة 1411هـ/1990م ص.207

الفنادق كانت مخصصة لسكن التجار النصارى، وأن عملية البيع والشراء كانت تتم تحت رقابتهم[1]؛ و تكون هذه الفنادق على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها، وإن كانوا يفضلون غالبا أطراف المدينة بعيدا عن المدن الآهلة بالسكان العرب[2]، حيث أقاموا حيّا بأكمله كان يطلق عليه اسم "**حي التجار**"[3]. وفي الغالب يعرف اسم الفندق باسم النازلين فيه[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الفندق كمؤسسة خاصة بقومية من التجار الأجانب هو تطور للمدلول الذي تشكل في إفريقية والمغرب الأوسط خلال الفترة الإسلامية الأولى بشكله البسيط[5].

انتشرت الفنادق في مناطق متفرقة من بلاد المغرب والأندلس، وأدت دورا كبيرا في النشاط الاقتصادي، فقد اهتمت الدول المستقلة بإنشاء وتنظيم الفنادق، حيث شهدت فاس في عهد الادارسة وجود أعداد كبيرة منها [6]، كما وجد بمدينة ميلة في القرن 3هـ/9م **فندق فرجون**، وذكر ابن حوقل عند وصفه لمدينة سوسة أنها ميناء وفيها أسواق وفنادق وحمّامات وذكر نفس الشئ بالنسبة لقرطبة ولكثير من المدن الصغيرة سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب[7] .

ومع ازدهار النشاط التجاري في العهد الفاطمي نتيجة الاهتمام بالتجارة الداخلية والخارجية، فقد حرصت على انشاء الفنادق وتنظيمها والتي كانت غالبا ما تقام بجوار الأسواق ، وخلال القرنين 4-5 هـ/10-11م أخذ الجغرافيون يدرجون الفنادق ضمن مجموعة المباني، من خلال عبارة "**وفيها فنادق وأسواق وحمامات**" عند وصفهم أي مركز تجاري نشيط ضمن مناطق بلاد المغرب [8]، و

---

(1) - De Mas Latrie (M.L) : Traite de Paix et de Commerce et Document divers concernant les relation des Chretiens avec les Arabes de l'Afrique Septentrionale au Moyen Age, Henri plon, Imprimeur- Editeur, Paris , 1866, p. 90.

(2) - De Mas Latrie: op.cit, p 89.

(3) - **Andrés** *Giménez Soler: La edad media en la Corona, Colección Labor,* Biblioteca de Iniciación Cultural, *Madrid, 1930, p 40.*

(4) – عيسى بن الذيب: التجارة فى عهد دولة المرابطين 540-470هجري/1056-1145م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1411هـ/1990م. ص150 ؛ مريم محمد: التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب ، ص. 270 .

(5) – إذ كان عبارة عن مبنى مكون من أفنية صغيرة ومخازن ودكاكين وغرف للتجارة وغرف للاستحمام دون أن تكون هناك أماكن للحيوانات المخصصة للركوب. مريم محمد: التجارة في افريقية وطرابلس الغرب..، ص. 270.

(6)– ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج.1، ص.43

(7) – ابن حوقل : صورة الأرض، ط.1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة 2009، ص. 64

(8) – ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 64 ؛ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، د.ن، مطبعة الرباط نت، المغرب،2012، ص.121

حسب ما تشير إليه بعض الرسائل فقد اشتهرت مدينتي تونس والمهدية بوجود العديد من الفنادق التي يسكنها التجار الغرباء ويزاولون فيها مختلف الأنشطة[1].

ونجد البكري يعدد الفنادق في عدد من مدن المغرب [2] والادريسي كذلك أثناء وصفه للمدن الأندلسية [3].

واتسعت الفنادق في عهد المرابطين، حيث اهتم السلطان يوسف بن تاشفين بها بشكل كبير، وقام بتنظيمها والزيادة في عددها [4]، أما في عهد الموحدين، فقد شهد التنظيم التجاري للفنادق تغيرا عما شهدته الفترات الماضية، حيث أن السلطة الموحدية كانت المتحكم في أماكن إقامة الفنادق والمناطق المخولة بالعمل التجاري مع التجار الأجانب، وذلك وفق اتفاقيات السلم والتجارة التي كانت تعقدها مع الدول الأوروبية المختلفة، وهذا ما نلمسه في المعاهدة التي أبرمها الخليفة المنصور الموحدي مع حكومة بيشة سنة 582هـ/1186م مدتها 25 سنة والتي ضمنت تحديد المراكز التجارية التي يقتصر التعامل معها على الساحل المغربي وهي سبتة، وهران، بجاية وتونس[5].

وانتشرت الفنادق بكثرة في المهدية، حيث سمح الخليفة المنصور الموحدي للبيزيين بفتح فندق خاص بهم، وبلغ عدد فنادق مدينة فاس 467 فندقا، خصصت للتجار والمسافرين والغرباء[6]، بينما يجعلها الجزنائي 469 فندقا. واحتوت مدينة على فنادق ضخمة [7]، وكانت مخصصة لسكن التجار الغرباء والمسافرين والزائرين للمدينة، وابرام الصفقات التجارية.

اهتمت دول الغرب الاسلامي بعد الموحدين بالفنادق اهتماما بالغا، فالحفصيون عملوا على تشييد العديد منها وتنظيمها خاصة في مدينة تونس والمدن المينائية، أما المرينيون فقد عملوا على تنظيم العمل التجاري للفنادق خاصة ما يتعلق بمدينتي فاس وسبتة، وكان لبعض العائلات الثرية

---

(1) – ينظر ماورد من رسائل عند:

Goitein Shelomo Dov : A Mediterranean society, (The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza), vol V, University of California Press, 1988 , P.349-350,

(2) – البكري: المصدر السابق، ص. 17، 20، 28، 29، 40، 56.

(3) – الإدريسي أبو عبد الله محمد: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2010م، ج.2، ص.564-565، 570، 575.

(4) – ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج.1، ص.50.

(5) – رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تح. أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، ط1، 1416هـ/1995م ، ج.1، الرسالة 32، 33، ص.163-166

(6) – المصدر نفسه.

(7) – منها فندق الأرنبة قرب مسجد أبي يوسف، وفندق السكر قرب باب نفيس، وفندق المقبل . ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 90.

والشخصيات المعروفة دور في بناء الفنادق داخل الاسواق التجارية، حيث كانت تدر عليها ارباحا طائلة، مثل عائلة بني فذة التي كان لأبنائها سوقا قرب الشهود يعرف باسمها، وكان به فندقا كبيرا يمارس فيه العمل التجاري[1] ويشير حسن الوزان أن مدينة فاس وحدها تضم أكثر من 200 فندق، تتألف كلها من ثلاث طوابق منها ما يشمل 120 غرفة[2]، وبعضها أكثر من ذلك، كما احتوت تلمسان على عدة فنادق في العهد الزياني مثل **فندق الشماعين** و**فندق المجاري، وفندق الرمانة،** وهذا نظرا لأهمية هذه المدينة من الناحية الاقتصادية خاصة التجارية، ويذكر حسن الوزان أن مدينة تلمسان : "**فيها فنادق على النمط الافريقي، منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية**" [3]، كما وجدت فنادق اخرى في المدن الزيانية الأخرى مثل فندق مرسيليا بوهران.

أما في الأندلس فيذكر الإدريسي أنه في المرية على عهد علي بن يوسف بن تاشفين كان ما يقرب من تسعمائة وسبعون فندقاً، وهذا ما أشار إليه الحميري بقوله: "**وفيها ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً**" ، كما اشتهر ربضها المعروف بـ(ربض الخوض) بالحمامات والفنادق، وذلك لخدمة التجار الأجانب الوافدين .

أما قرطبة حاضرة الأندلس فكان فيها ألف وستمائة فندق لسكن التجار والمسافرين، ومن فنادق غرناطة "**الفندق الجديد**" أو "**خان الفحم**"، الذي شيد في عهد السلطان النصري أبي الحجاج يوسف الأول سنة736هـ/1336م و الذي لازال قائما حتى اليوم ويعرف باسم **Corral del Carbón** [4].

3. التخطيط المعماري للفنادق وطابعها التنظيمي:

الفندق في تصميمه العام وكما صورته مصادر تاريخية من العصور الوسطى، عبارة عن بناية كبيرة مربعة الشكل محاطة بالأسوار كأنها قصر حصين، تتألف في الغالب من طابقين أو ثلاثة، ومخطط الفندق بسيط يتألف من ثلاثة طوابق خصص الطابق الأرضي لتخزين السلع وتبييت الحيوانات، فيما يحوي الطابق الذي يعلوه مباشرة على دكاكين وحوانيت لعرض السلع للبيع واستقبال العملاء وعقد الصفقات، وصمم الطابق الأخير في شكل غرف للنوم و الاستراحة لنزلاء الفندق، فيما تتوسط أبنية الفندق ساحة تتسع لإنزال البضائع وشحنها، زرعت بشتى أنواع النباتات والزهور لتذكير النزلاء بأوطانهم وتعطيهم الإحساس بالراحة و الانبساط[5].

---

(1) – ابن الأحمر إسماعيل : بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972، ص. 8.

(2) – الوزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، تونس، 1983، ج. 1، ص. 182.

(3) – المصدر السابق، ج.2، ص.20

(4) – ينظر الملحق رقم 1، 2.

(5)–هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ج3، ص.303.

كانت الفنادق عادة موجودة بجوار السوق المركزية، وعلى جانب الشارع الرئيسي وبالقرب من أبواب المدن، وتكون ملاصقة للحمامات والمساجد والدكاكين لأجل راحة التجار وغيرهم من المسافرين المقيمين هناك والمشترين الذين يرغبون في ابتياع بعض البضائع من الفندق.[1] وباعتبار أن كل جالية نصرانية لها فندق خاص بها، فإن الفنادق كانت منفصلة عن بعضها البعض بواسطة جدران حجرية من التراب المدكوك[2]، ولكل فندق بابه الخاص به الذي يمتاز عادة بالمتانة والصلابة، ويقوم بالحراسة عليه بوابون أو أمناء غالبا ما يكونون من المسلمين وجزءا من شرطة المدينة ويخضعون لسلطة القنصل[3]، ويختارون عادة من المشهود لهم بالأمانة الصدق، ويحق لهؤلاء الحراس أن يمنعوا الأشخاص غير المرغوب فيهم من دخول الفندق مالم يكن لهم ترخيص من القنصل سواء كانوا من أهل المدينة أم أجانب، يبدو أن السبب الرئيسي للفصل بين الفنادق والحراسة المشددة عليهم يعود إلى تلك النزاعات القائمة باستمرار بين الدول الأوروبية، بالإضافة إلى المنافسة القوية بين التجار لعقد الصفقات التي ينتج عنها حساسية شديدة تجعل كل جالية حريصة كل الحرص على إحاطة جوانب حياتها داخل الفندق بقدر من السرية والكتمان، هذا بالإضافة أنها كانت مخازن للسلع والبضائع التجارية، ولذلك يجب حمايتها وحراستها حفاظا عليها من السرقة والنهب[4]

ومهما يكن من أمر هذه الفنادق، فإن كل من شاهدها من المعاصرين أكد بأنها تعد من أجمل المباني التي شيدت بالديار الإسلامية، لدرجة أن بعض الدول الأوروبية أنشئت في بلادها في تلك الفترة فنادق على شاكلة الطراز المعماري الإسلامي[5] .

أمّا بالنسبة لمسألة صيانة وإصلاح الفنادق فإنها على ما يبدو كانت تخصم من الرسوم الجمركية، أو من ثمن إيجار بعض المحلات التجارية، ففي عام 680هـ/1281م كان القنصل العام في البندقية يفرض على قنصل تونس أن يستخدم جزءا من العوائد في استئجار بعض المحلات في إصلاح وتنظيم الفندق[6].

---

(1)- كونستابل: إسكان الغريب، ص 122.

(2) - De Mas Latrie : op.cit, p. 89.

(3)- مريم محمد: التجارة في افريقية وطرابلس الغرب..، ص. 273.

(4)- مريم محمد: المرجع السابق، ص.274

(5)- باقة رشيد: نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي (القرن السادس- التاسع الهجري)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ، اختصاص تاريخ العصور الوسطى، إشراف أ.د بوبة مجاني، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2006-2007م، ص.342.

(6) - De Mas Latrie : op.cit, p 91.

والجدير بالذكر أن الفنادق كعقار ليست ملكا للدولة التي يسكنها تجارها، بل إن الملكية الفعلية للعقار تعود إلى الدولة صاحبة الأرض، فبمجرد ترك التجار للفندق فإنه يعود وبجميع مرافقه للدولة صاحبة الأرض.

4. أنواع الفنادق:

من خلال الاشارات المصدرية، يبدو أنه كان هناك نوعان من الفنادق: **فنادق عامة رسمية** تابعة للسلطة الحاكمة، و**فنادق خاصة** يمتلكها الأفراد [1].

ظهرت الفنادق الرسمية (العامة) في المصادر بصورة متكررة أكثر من الفنادق الخاضعة للخواص (الخاصة)، وعلى الرغم من أن هذه الأخيرة كانت موجودة بدون شك وعددها يفوق عدد الفنادق الرسمية، فإنها لاتظهر في المصادر إلا إذا جذبت اهتمام السلطة وهذا عكس الفنادق العامة التي كانت محل اهتمام السلطة لسبب أو لآخر. ويظهر عدد قليل من الفنادق التي يملكها أفراد عاديون في المصادر الشرعية خاصة عند الحديث عن الوقف والبيع والكراء.

يذكر ابن القاضي أن مدينة فاس شهدت إنشاء العديد من الفنادق التابعة لسلطة الادارسة[2]، كما أقام الموحدون العديد من الفنادق الرسمية في العديد من المدن[3]، ويذكر الزركشي أن السلطة الموحدية هي التي كانت تتحكم بأماكن إقامة الفنادق وتحديد المناطق المخولة بالعمل التجاري مع الاجانب [4] .

تشير بعض المصادر إلى أن الفترة التي أعقبت العهد الموحدي شهدت اهتمام السلاطين بإنشاء الفنادق ورعايتها وتخصيص عائداتها في الأعمال الخيرية [5] .

أما الفنادق الخاصة فتوجد إشارات تعود للقرن 3هـ/9م تدل على الملكية الخاصة للفنادق حيث يذكر القاضي النعمان فندق **فرجون** في مدينة ميلة المسمى باسم مالكه،وكانت الفنادق الخاصة تدر أرباحا طائلة، بسبب ازدهار النشاط التجاري، وكثرة التجار الوافدين إليها، وتشير كتب الفتاوي إلى الفنادق الخاصة وكثرة الوافدين إليها من مسافرين وتجار وما سببته من ضرر أحيانا للدور المجاورة

---

(1) – كونستابل: إسكان الغريب، ص. 104، 134.

(2) – جذوة الاقتباس، ج1، ص. 41.

(3) – مجهول (كاتب مراكشي من ق6هـ/12م) : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة). ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة –آفاق عربية–، بغداد، د.ت، ص. 185.

(4) – الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس، 1966، ص. 236.

(5)– الجزنائي علي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط.3، 1429هـ/2008م ، ص. 73، 50؛ الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص.50.

لها[1]، ونظرا لما تدره هذه الفنادق من أرباح كبيرة إلى اصحابها قامت بعض العائلات الثرية والشخصيات المشهورة في بلاد المغرب في بناء فنادق تابعة لها داخل الأسواق.[2]

تفيد بعض المصادر عن المنافسة بين الدولة والخواص حول مداخيل الفنادق، فقد تعرض أحد القضاة في منتصف القرن 6هـ/ 12م في قرطبة إلى النقد بسبب بنائه الفنادق والحمامات والطواحين والدكاكين واختصاصه بمداخيلها له وحده، وبالتالي استولى على مداخيل كان يجب أن تكون في بيت مال المسلمين[3].

5. مداخيل الفندق:

حرصت الدول الاسلامية على مراقبة الفنادق واقتطاع الارباح عبر الضرائب وغيرها من التكاليف الاخرى وهذا لجملة من الأسباب : منها الطابع الربحي الرفيع للمؤسسة واهتمام الدولة بالاسعار وتوفير الطعام والوضع الانتقالي للتجار وبضائعهم . وعندما يكون المبنى ملك الدولة فإن الارباح تكون أكبر بالإضافة إلى ما يوفره كراء السكن والخزن وأثمان الطعام من المبالغ. ولأن الفنادق كانت مواقع ملائمة لجمع المكوس على البيع وغيرها من العمليات التجارية الاخرى، فإن مداخيلها كانت ضخمة. وقد ذكر الادريسي أن فنادق المرية كانت قد أحصيت لجمع المكوس فبلغ عددها 970 مؤسسة [4]، كما تم إحصاء 467 فندقا بفاس مهيأة لجمع المكوس في عهد الخليفة الموحدي محمد بن يعقوب.[5]

ويذكر الزركشي أنه في تونس مثلا يوفر فندق الخضروات والملح والبيض دخلا سنويا من المكوس يقدر بـ 3000 و1500 و1000 دينار على التوالي [6].

كان أرباب الفنادق هم المسؤولين عن جمع الضرائب في الفندق، يدفعونها أو يدفعون منها نصيبا للدولة أو إلى مالك الفندق. كما أن المشرفين عليها كانوا مسؤولين عن ضمان صحة وزن البضائع لأجل تحديد قيمتها، بواسطة ميزان قانوي [7].

---

(1)- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح. محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط و دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ، ج.9، ص.41-42؛ البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف: فتاوي البرزلي "جامع الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام"، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ج.4، ص.387-388.

(2)- ابن الاحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص 8- 9.

(3)- الونشريسي: المعيار المعرب ..، ج. 10، ص. 15-16.

(4)- نزهة المشتاق، ج.2، ص. 562-563.

(5)- ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، ص. 26 ؛ الجزنائي: زهرة الآس، ص. 33.

(6)- تاريخ الدولتين، ص. 102.

(7)- كونستابل : إسكان الغريب، ص. 132.

ويشترط في المشرف على الفندق أن يكون كفؤا وأمينا.

وقد عرفت بلاد المغرب نظام اكتراء الفنادق، حيث أن أغلب المشرفين على الفنادق كانوا يستأجرون بدلا من أن يمتلكوا الأبنية التي كانوا يديرونها، حيث كثيرا ما نجد الفنادق في عقود الكراء في حين أنها نادرة في عقود البيع، وهو ما يفيد بأنها من ممتلكات الأوقاف، والأبنية التي يشملها الوقف يمكن أن تؤجر مقابل معلوم لفترة تتراوح بين السنة والثلاث سنوات وأنه لا يمكن بيعها إلا بأمر خاص[1].

وتتضمن بعض كتب الوثائق نماذج لعقود توفر بعض الصيغ الشرعية المتعلقة بكراء الفنادق، رغم أنها لاتعطي معلومات عن هوية الطرفين المتعاقدين سواء كان جهة رسمية أو جهة خاصة، فهي تكتفي بعبارات شكلية مثل "فلان وفلان" [2]، ويمكن توزيع قيمة كراء الفندق على عدد من الأشهر عوضا عن أن يكون مبلغا إجماليا ، ويمكن أن يتغير المقدار بحسب تطور المصاريف أو نتيجة للتراجع الاقتصادي.[3]

ويذكر الجزيري أنه إذا أراد صاحب فندق أن يؤجر جزءا من المبنى وتخصيص عدد قليل من الغرف لفائدته الخاصة أو لخزن بعض متعه فيجب، يتم التنصيص على ذلك بوضوح في العقد مع التأكد على الغرف موضوع التخصيص[4].

6. الفندق مؤسسة متعددة الاختصاصات في الفضاء المغاربي:

أدى تنامي التجارة الدولية عبر مسافات بعيدة في البحر المتوسط ودخول التجار النصارى بوفرة مجال المدن المغاربية، إلى إعادة النظر في المؤسسات المحلية المعهودة الخاصة بالتجار الأجانب وبالمسافرين. فالتجار الأجانب يحتاجون إلى أماكن آمنة للإقامة وتخزين السلع، كما يحتاجون إلى أماكن لممارسة شعائرهم الدينية وإلى تجهيزات للطبخ والاستحمام وأسواق للبيع والشراء، ولهذا فقد أدى الفندق دورا بارزا في هذا الصدد واضحى منذ القرن 6هـ/12م يمثل مركزا لتجارة الغرب النصراني، يسهل وينظم نشاط الجاليات التجارية الاوروبية. فكان الفندق المسيحي في بلاد المغرب شكلا من أشكال المدينة بما احتوى من خدمات تكاد تكون متكاملة[5]

---

(1)– أوليفيا كونستابل: المرجع السابق، ص. 132.

(2)– ابن مغيث أحمد الطليطلي: المقنع في علم الشروط، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2000م، ص. 232.

(3)– الجزيري أبو القاسم علي بن يحي بن القاسم: المقصد المحمود في تلخيص العقود، تحقيق ودراسة فايز مرزوق بن بركي السلمي، أطروحة دكتوراه في الفقه، إشراف الدكتور محمد نبيل غنايم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1421–1422هـ ، ص. 207–208؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص.452، ج.8، ص. 287–288.

(4) – المصدر السابق، ص. 208–209.

(5)- Mas.latrie: op.cit, p89.

تطور الفندق الخاص بالتجار الأوروبيين ليستجيب لنمط حياتهم وطموحاتهم ومصالحهم؛ فأصبح مقرا للقنصلية وبالتالي المقر الدبلوماسي الذي يمثل الدولة والجالية ويحل مشكلاتهم[1]، حيث كانت البلدان التجارية الأوروبية تعين قنصلا يقوم بالإشراف على تجارة بلاده في بلاد المغرب لفترة زمنية معينة، كما يدير ويحمي شؤون جالية بلاده وعلاقاتهم مع المسلمين[2]، كما يقوم القنصل بالنظر والفصل في النزاعات والمشاكل التي تحدث بين رعايا بلده، وهو المسؤول عن الأداءات الجمركية أمام السلطات المحلية[3].

لقد صار الفندق مركبا كاملا احتوى على وظيفتي التنزيل والتخزين للسلع الواردة عن طريق البحر، بالإضافة إلى أنماط الحياة المختلفة، فاحتوى على كنيسة صغيرة لأداء الشعائر الدينية[4]، وفرن لإعداد الطعام للنزلاء، ومدافن لدفن الموت، بالإضافة إلى وجود محلات لتقديم الخدمات الضرورية الأخرى مثل محل لخياطة الملابس، وآخر لصناعة الأحذية وثالث لبيع الخمور، بالإضافة إلى وجود محلات لدباغة الجلود و الفراء، ووجد محلان خاصان لملاحظة ومراقبة المحلات الأخرى، إذ كانت اللوائح تنظم وتراقب البضائع واستخدامها وبخاصة أمور الكيل والميزان ومراجعة الحسابات وتسجيلها عن طريق دائرة البيع، كما تمّ منع تربية الخنازير داخل الفندق أو السماح بالأعمال المخلة بالأخلاق فيه [5].

إن وجود الخدمات والمرافق داخل الفندق يوفر له نوعا من الاستقلالية عن المدينة، حيث أصبح أصحاب الجالية يمارسون حياتهم داخله دون تدخل السلطة المحلية، فكان الفندق المسيحي في بلاد المغرب شكلا من أشكال المدينة[6].

وقد تأسست فنادق مختلفة خاصة بكل طرف من الأطراف التجارية الأوروبية المتوسطية المتعاملة مع بلاد المغرب من الجنويين والبيزيين والبنادقة بالإضافة إلى القطلانيين والأرغونيين[1]؛

---

(1) – مريم محمد: التجارة في افريقية وطرابلس الغرب، ص. 274.

(2) – يتم اختيار القنصل إمّا من التجار الذين لهم صلات قوية مع المسلمين، أو من الأسر الأوروبية العريقة لمدة تتراوح مابين سنة سنتين وقد تمدد سنة أخرى في حالة تزكيته من تجار بلاده. De Mas Latrie : op.cit, p.186-188 برنشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ج1، ص. 436.

(3)– نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1973 .، ص. 325.

(4)– كانت كل أمة تسمي كنيستها باسم الشخصية الدينية التي يمجدونها، فمثلا: الكنيسة الجنوية في تونس باسم القديس سان لوران Saint Laurent، البيزية باسم القديسة ماريا Sainte Maria، كنيسة البندقية باسم القديس مارقص Saint marc. رشيد باقة: نشاط جنوة الصليبي_، ص.339، هامش 5.

(5)- De Mas Latrie: op.cit ,P.90.

(6)- De Mas Latrie : Ibid, p.89.

فضمت مدن بلاد المغرب فنادق لكل الجاليات النصرانية المتعاملة معها، كما أولت سلطات بلاد المغرب أهمية خاصة لاستقبال التجار الأجانب الذين يفدون على موانئها ومدنها للتجارة، بأن وفرت لهم ظروفا مقبولة للنشاط والإقامة عملا بما تقره الشريعة الإسلامية التي تشدد على ضمان حرية تنقل الأجانب إلى الديار الإسلامية[2] وإقامتهم فيها كمستأمنين في حدود حولٍ كامل كحد أدنى[3]، وحتى إن طال بهم الأمد أكثر من هذا الزمن، فإنهم يصبحون من جماعة أهل الذمة، ووجب على السلطات الإسلامية عندئذ معاهدتهم على توفير الأمن والحماية والرعاية لهم[4] في مقابل أن تعترف هذه الجماعة بالسيادة العليا للدولة الإسلامية وتدفع الضريبة المستحقة عليها الجزية[5].

للفندق وظائف متعددة أهمها الوظيفة الاقتصادية[6]، إذ هو بمثابة مؤسسة دائمة لخدمة المصالح التجارية، فهو مخزن للسلع يتم التخزين فيه مقابل أداء يدفع للقنصل، كما يعد سوقا تجارية للبضائع المستوردة، و موردا للعائدات المالية المتأتية من كراء المحلات والفرن، إلى جانب الأداءات الموظفة على العقود التجارية[7].

وكانت الفنادق تسمى أحيانا باسم البضائع التي تخزن فيها مثل فندق الصوف المغزول، فندق القمح، فندق الفحم، فندق الخضرة، وفندق الملح[8]. وورد في معاهدة سنة 1166م بين أبي يعقوب يوسف الموحدي وبين جمهورية بيزا أنه باستطاعة البيزيين فتح فندق خاص بهم في مدينة المهدية[9]، كما وجدت في بجاية عدة فنادق[10] منها ما هو مخصص للتجار المارسليين، كما سُمِح للبيزيين بإقامة

---

(1)– لم تقع الإشارة في المصادر الأولى إلى فنادق التجار الأوروبيين في غرب المتوسط في المعاهدات بين المسلمين والمسيحيين، وإنما من خلال وعد حصلت عليه جنوة سنة 1146م /540هـ من ملك قشتالة ألفونسو السابع Alphonse VII (1126–1157م) وكونت برشلونة رامون برينغير الرابع Raimond-Bérenger IV. ويمنح هذا الوعد فنداكو وحمّاما وفرنا وحديقة في مدينة ألمرية ومقابل ذلك تقدم جنوة مساعدة بحرية للاستيلاء عليها. كونستابل: إسكان الغريب، ص. 194.

(2)– باقة رشيد: نشاط جنوة الصليبي ، ص.338.

(3) - Bernard Lewis : juifs en terre d'Islam, trad. Jacqueline Carnaud, Calmann-Lévy, Paris 1986, p.38.

(4)– باقة رشيد: نفس المرجع والصفحة

(5)– ميتز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت،ج1، ص. 96.

(6)– إضافة إلى وظيفته السياسية لأنه مقر القنصل الذي اعتبر ممثلا رسميا للدولة أو المدينة، وأيضا له وظيفة دينية لأنه احتوى على مبنى الكنيسة الخاصة بالجالية. De Mas Latrie : Ibid, p47

(7)– مريم محمد: التجارة في افريقية..، ص. 273.

(8)– الزركشي: تاريخ الدولتين، ص. 236.

(9) -De Mas Latrie: Ibid, p.22.

(10) – حسن الوزان: وصف افريقيا، ج.2، ص.50.

فندقهم الدائم منذ معاهدة عام 631هـ/1234م[1]، وبعض منها في المدن الداخلية المهمة مثل قسنطينة، أما باقي المدن مثل جيجل وسكيكدة فكانت توجد بها مكاتب تجارية غير خاضعة للضرائب، بالإضافة إلى امتلاكها أمكنة مميزة لتخزين السلع[2]. وفي سنة 629هـ/1223م وبعد مفاوضات تمت بين أبي العلاء والي تونس من قبل الموحدين وبين سفراء مدينة جنوة، حصلت هذه الأخيرة على فندقا بمدينة تونس[3]، وفي سنة 631هـ/ 1234م حصلت على فندق آخر بمدينة سبتة[4]؛ كما ملك فئة من تجار جنوة الأغنياء وأصحاب الشركات فنادق خاصة بهم في بعض الموانئ المغربية كتونس ومرسى الخرز، وليس هناك تأكيد إن كانت هذه الفنادق ملكية تابعة لهم، أو مستأجرة من السلطات التونسية[5]. وتشير أوليفيا ريمي كونستابلOlivia Remie Constable أنّ بعض التجار الأوروبيين يكتري أو يمتلك مسكنه الخاص[6]، رغم أنّ السلطات المحلية عادة ما لا تشجع على هذا النوع من الترتيب.

وقد كان للتوسع العسكري والسياسي النصراني على حساب الأراضي الإسلامية و نموّ تجارة ما وراء البحار الأوروبية نتائج هامة على تطور المجال التجاري، أهمها تبني المؤسسات الحضرية الإسلامية و منها الفندق وتسخيرها لتلبية حاجات الوضع النصراني الجديد؛ وتفاوضت أغلب وأهم الدول والمدن التجارية في جنوب أوروبا من أجل معاهدات مستقلة وذات امتيازات مع الدول الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، وكان كلٌّ يسعى إلى التفوق على منافسيه أو على الأقل إلى المساواة في مستوى الامتيازات التجارية الممنوحة لتجارهم الذين يتعاطون نشاطهم في الخارج.

ومنذ منتصف القرن 8هـ/12م أصبح تضمين الوعد بالإقامة في فندق وغيره من المنشآت أمرا عاديا[7]، ويعد فندق الجنوية بتونس من أكبر الفنادق وأحسنها بنيانا إلى جانب فندق البنادقة[8]، كما تشير بعض الدراسات أن فئة من التجار الأغنياء وأصحاب الشركات كانت لهم فنادق خاصة في بعض الموانئ المغربية مثل تونس ومرسى الخزر.

وبرغم الحصانة التي يتمتع بها الفندق بحكم كونه مؤسسة قانونية على أرض إسلامية مرتبطة بمزايا التبعية الخارجية، إلاّ أنه عادة ما يتعرض للاعتداء والتخريب من طرف السكان المحليين كلّما

---

(1)- De Mas Latrie : Ibid, pp.31-37.
(2) - De Mas Latrie: Ibid, p.92.
(3) - Charles-Emmanuel Dufourcq :" Les consulats catalans de Tunis et de Bougie au temps de Jacques le Conquérant", **Anuario de estudios médievales**, N° 3, An.1966, P. 438.
(4)- Gabriel Martinez-Gros et autres : Pays d'Islam et monde latin 950-1250, Clefs concours, atlande, 2001 , p.283.
(5)- باقة رشيد: المرجع السابق ، ص.341.
(6)- وذلك بناء على وثيقة حررت بتونس وذلك في بيت القاضي غويدي Guidi . إسكان الغريب، ص. 173.
(7) – كونستابل: المرجع السابق، ص.172، 173.
(8) – وهذا حسب شهادة الرحالة أنسلم أدرنو Anselme Adorno الذي زار تونس ما بين 1470-1471م/874-875هـ. باقة رشيد: المرجع السابق، ص.341.

اشتدت الخلافات بينهم وبين أفراد الجاليات النصرانية، والواقع أنه كثيرا ما كانت تحدث مشادات بين الأهالي من المسلمين وأفراد الجاليات الأوروبية، خصوصا عندما يعتدي أحد أفراد هذه الجاليات على المقدسات الإسلامية، أو يخل بأعراف المسلمين[1]، أو تتسبب دولته في الاعتداء على مصالح المسلمين، فإن ردة فعل الأهالي تكون بالثورة على تلك الجاليات والاعتداء على فنادقها ونهب سلعها كما تشهد على ذلك أحداث مدينة سبتة سنتي631-632هـ/1234-1235م، عندما اتهم حاكم سبتة آنذاك جنوة بأنهم يخططون لغزو المدينة والاستيلاء عليها، وقام بتحريض القبائل المجاورة للذود عنها، حيث قدمت إلى المدينة في أعداد كثيرة وراحوا يعتدون على أحياء الجنويين وفندقهم، فأوقعوا بهم قتلا وتخريبا، حتى اضطر الناجون منهم إلى إلقاء أنفسهم في البحر هربا من جحيم القتل[2]. كما وقعت كذلك حادثة مماثلة في مدينة تونس سنة 636 هـ/1239م، عندما قامت جماعة من الأهالي مسلحين بالعصي والحجارة بالهجوم على فندق الجنوية، واستولوا على جِرار الزيت التي رفض القنصل تسويقه للمسلمين وكانوا في أمس الحاجة إليه[3] .

تكون الفنادق وبعض المؤسسات التجارية الاخرى في بعض الاحيان مهددة بالهدم لتفسح المجال أمام مشاريع عمرانية جديدة خاصة عند ترميم أو توسيع المساجد، حيث يذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحدي يعقوب ابن يوسف لما أراد توسيع صحن مسجد ابن عباس بإشبيلية سنة 592هـ/1196م قام بهدم الأبنية المجاورة للسوق وهي تضم "**دورا ودكاكين وفنادق**" [4]، **وأمر** خليفته محمد بن يعقوب بتوسيع جامع القرويين بفاس وهو ما استوجب هدم فندق قديم، وهو فندق ابن حبّون الذي كان قريبا [5] .

كما يجب أن نشير الفنادق كان لها دورا اجتماعيا، حيث عُدت أداة مباشرة لفعل الخير لأنها بنيت لتوفير الإقامة للمسافرين والفقراء والطلبة والحجيج، وكذلك توفير الطعام إضافة إلى السكن على وجه الإحسان، فقد كانت تستقبل المرضى خاصة الفقراء منهم حيث يوفر لهم الطعام. وفي الوقت نفسه يمكن أن توفر الفنادق مداخيل عبر ما يتأتى منها من الأكرية والضرائب، وتعتبر هذه المداخيل مصدرا غير مباشر لفعل الإحسان، حيث يشير ابن حوقل إلى ذلك الترابط الذي كان موجودا بين

---

(1)- مثل شرب الخمور وأكل لحم الخنزير، وكان المسلمون ينعتونهم بالمشركين وغير المختتين. بوكنة عبد العزيز: عالم البحر الغربي للبحر المتوسط و قواه ا لسياسية والدينية والاقتصادية قبل و أثناء الحركة الصليبية (442-691هـ/1050-1291م)، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د موسى لقبال ، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1427-1428هـ/2006-2007م.، ص. 295.

(2)- *Charles-Emmanuel Dufourcq*: «La question de Ceuta au XIIIe siècle». Hespéris n° XLII, 1er-2e tr, 1955, pp. 67-127

(3)-Charles-Emmanuel Dufourcq :La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe , Hachette, Paris , 1978 , p.120

(4)- ابن صاحب الصلاة عبد الملك: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين السفر 2، ط1، دار الأندلس لطباعة والنشر، بيروت، 1383 ه-1964م ، ص. 485

(5) – الجزنائي: زهرة الآس، ص.61-62

الفندق وبين الأعمال الخيرية غير المباشرة [1]، كما طرحت مسألة على قاضي قرطبة ابن رشد تتعلق بوقف يتكون من فندقين حبسا على ثغر من ثغور المسلمين"[2].

ختاما لهذا البحث، يمكننا القول أن الفندق من المؤسسات المتغيرة عالية القيمة الوظيفية، برز في الغرب الاسلامي مبكرا وانتشر وتطور بشكل كبير مع حفاظه على كثير من خصائصه القديمة.

– كان انتشار الفنادق في الغرب الاسلامي باعتباره جزء هام ضمن الفضاء المتوسطي نتيجة تحرك الناس وتنقلهم، ليصبح مؤسسة ثابتة في الفضاء العمراني، تضطلع بدور الإسكان والتخزين والمراقبة والتمكيس .

– ساهم الفندق بأدوار جديدة كمؤسسة خيرية وتجارية في الوقت نفسه، يديره المسؤول المتنقل من جهة إلى جهة في المهمات الرسمية، ويأوي إليه إبن السبيل، والسائح المتصوف، ويقيم به التجار الباحث عن الربح وجمع المال

– أصبحت الفنادق موضوع تشريع وتنظيم ومراقبة من قبل ذوي السلطة والنفوذ على اختلاف مواقعهم من فقيه وسلطان، واهتم به الرسل والسفراء الغربيون، وعاش فيه القناصل والمشرفون على الجاليات التجارية الاوروبية، واستقر به أهل اللهو والمجون والبغاء، وسجن به من كان خارجا عن الطاعة في بعض الاحيان، واستراح فيه السلاطين والحجاج في حلّهم وترحالهم.

– كما تعرضت الفنادق للكثير من التحديات مثل الحرائق ونهب بعضها في حالات الانتفاض والانتقاض على السلطان، ولكنه ظل صامدا، لم تؤثر فيه هذه الأحداث.

(1)- صورة الأرض، 184.

(2)- الونشريسي: المعيار المعرب..، ج7، ص.466-467.

الملاحق:

الملحق 1: صورة لمدخل فندق قديم بمدينة غرناطة يعود لعهد بني الأحمر في الأندلس[1]

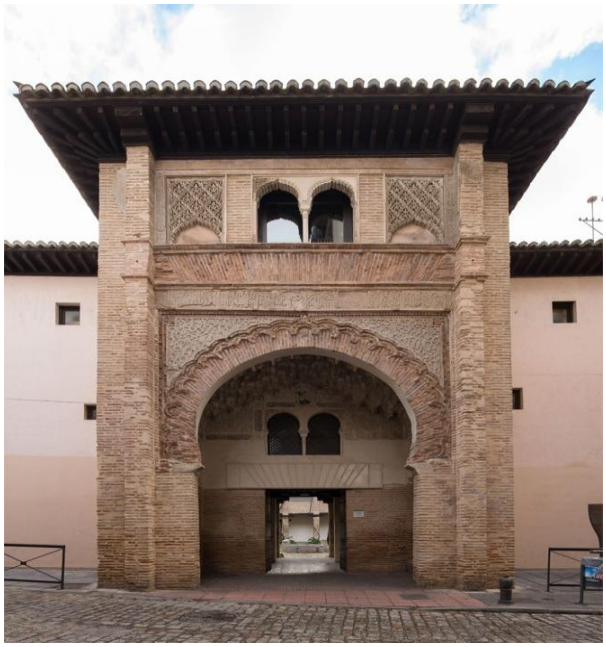

الملحق رقم 2: صورة من داخل فناء فندق قديم بمدينة غرناطة يعود لعهد بني الأحمر في الأندلس، تبرز التصميم المعماري للطوابق والغرف[2]

(1)- تصوير شخصي Corral del Carbón غرناطة، إسبانيا بتاريخ 2019/3/27.

(2)- تصوير شخصي Corral del Carbón غرناطة، إسبانيا بتاريخ 2019/3/27.

البيبليوغرافيا:

1. ابن الأحمر إسماعيل: **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد: **كتاب** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2010م

3. باقة رشيد: **نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي (القرن السادس- التاسع الهجري)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ، اختصاص تاريخ العصور الوسطى، إشراف أ.د بوبة مجاني، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2006-2007 م

4. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي: **فتاوي البرزلي** "**جامع الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام**"، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ج.4.

5. برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1.

6. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: **المسالك والممالك**، الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، د.ن، مطبعة الرباط نت، المغرب،2012.

7. بن الذيب عيسى: **التجارة فى عهد دولة المرابطين470-540 هـ/1056-1145م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1411هـ/1990م.

8. بوكنة عبد العزيز: **عالم البحر الغربي للبحر المتوسط و قواه ا لسياسية والدينية والاقتصادية قبل و أثناء الحركة الصليبية (442-691هـ/1050-1291م)**، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د موسى لقبال، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1427-1428هـ/2006-2007م.

9. جبار عبد الناصر: **بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، (14-15 م)**، رسالة ماجستير إشراف الأستاذ الدكتور حامد زيان غانم، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة 1411هـ/1990م.

10. الجزنائي علي: **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1429هـ/2008م.

11. الجزيري أبو القاسم علي بن يحي بن القاسم: **المقصد المحمود في تلخيص العقود**، تحقيق ودراسة فايز مرزوق بن بركي السلمي، أطروحة دكتوراه في الفقه، إشراف الدكتور محمد نبيل غنايم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1421-1422هـ

12. ابن حوقل : **صورة الأرض**، ط 1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة 2009.

13. رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تح. أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، ط1، 1416هـ/1995م. ج.1.

14. ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972

15. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح. محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس، 1966.

16. ابن صاحب الصلاة عبد الملك: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** السفر 2، ط1، دار الأندلس لطباعة والنشر، بيروت،1383هـ-1964م.

17. عميروش نعيمة: "**الفنادق ودورها التجاري في المغرب الأوسط**"، ضمن الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، أعمال الملتقى الدولي المنعقد يومي 7-8 ديسمبر 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر، د . ت.

18. ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج.1.

19. القاضي النعمان بن محمد: **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي وآخرين، دار المنتظر، بيروت، ط1، 1996.

20. كونستابل أوليفيا ريمي: **إسكان الغريب في العالم المتوسطي**، تعريب وتقديم، محمد الطاهر المنصوري، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2013.

21. مجهول (كاتب مراكشي من ق6هـ/12م) : **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة –آفاق عربية–، بغداد، د.ت.

22. ابن مغيث أحمد الطليطلي: **المقنع في علم الشروط**، دار الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2000م.

23. ابن منظور عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري: **لسان العرب**، تح عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت ، مج5، ج23.

24. مريم محمد عبد الله جبوده: **التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العصرين الموحدي والحفصي** (555–915هـ/1160–1510م)، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2013.

25. ميتز آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام**، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت،ج1.

26. نعيم زكي فهمي: **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1973 .

27. هايد. ڤ: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، تر: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ج3.

28. الوزان الحسن بن محمد (ليون الإفريقي) : **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، تونس،1983.

29. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح. محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، الأجزاء: 7،8،9، 10.

30. Andrés Giménez Soler: **La edad media en la Corona**, Colección Labor, Biblioteca de Iniciación Cultural, Madrid, 1930.

31. Bernard Lewis **: juifs en terre d'Islam**, trad. Jacqueline Carnaud, Calmann-Lévy, Paris, 1986.

32. Cahen Claude: **"Douanes Et Commerce Dans Les Ports Méditerranéens De l'Égypte Médiévale D'après Le Minhãdj d'Al-Makhzùmi"**, dans Journal Of The Economic And Social History Of The Orient, Vol. VII, Part.

III, (Makhzùmiyyãt, Etudes Sur l'Histoire Economique Et Financière De L'Égypt Médiévale), E.J , Brill, Leiden, 1964.
33. De Mas Latrie (M.L) : Traite de Paix et de Commerce et Document divers concernant les relation des Chretiens avec les Arabes de l'Afrique Septentrionale au Moyen Age, Henri plon, Imprimeur- Editeur, Paris , 1866.
34. Dufourcq Charles-Emmanuel: **«La question de Ceuta au XIIIe siècle»**. Hespéris n° XLII, 1er-2e tr, 1955, pp. 67-127
35. Dufourcq Charles-Emmanuel :**La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe** , Hachette, Paris , 1978 .
36. Dufourcq Charles-Emmanuel **: " Les consulats catalans de Tunis et de Bougie au temps de Jacques le Conquérant"**, Anuario de estudios médievales, N° 3, 1966.
37. Goitein Shelomo Dov : A Mediterranean society, (The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza), vol V, University of California Press, 1988
38. Martinez-Gros Gabriel et autres : **Pays d'Islam et monde latin 950-1250**, Clefs concours, atlande, 2001.